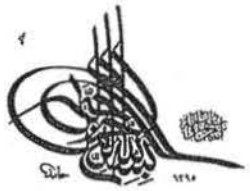

TARİHTE ve GÜNÜMÜZDE
SELEFÎLİK

Milletlerarası Tartışmalı İlmî Toplantı
08-10 Kasım 2013

Topkapı Eresin Hotel, İstanbul

İstanbul 2014

السلفية في باكستان بين الماضي والحاضر

شهاب الدين أحمد فرفور♦

مقدمة:

كلمة السلفية تعني في أصل المدلول لهذه الكلمة النسبة إلى السلف فهي مصدر صناعي بهذا الإعتبار والمعنى. إذ كل من انتسب إلى السلف أو إلى منهجهم فهو سلفي، ككلمة الشرعية إذ أنها تعني النسبة إلى الشرع تمام.

وبهذا المعنى فإننا نفهم أن السلف رضي الله عنهم سموا سلفا لأنهم كانو في فترة زمنية معينة لا لأنهم أصحاب مذهب فقهي معين: وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" *خير القرون قرني ثم الذي يليه ثم الذي يليه.*"

فقد شهد النبي لهم بالخيرية ثم إنهم جاؤا بعد طبقة الصحابة إلى آخر القرون الثلاثة الأولى، ثم جاء من بعدهم طبقة الخلف.

على أن هؤلاء السلف لم يكن لهم مذهب فقهي معين. فالمذاهب الأربعة كلها كانت مذاهب للسلف وكانوا يتمذهبون و يعملون به.

إلا أنهم رضي الله عنهم كان يضمهم منهج عام ألا و هو الصيرورة إلى النص وترجيحه ما أمكن الشأن إلى ذلك من سبيل ولا يفني هذا إلغاء الرأي عندهم أو تعطيله ولكن طالما أن هناك مجالا لإعمال النص فإن النص مقدم على الرأي بوجه عام عندهم و هنا نخلص إلى فائدة ألا وهي أنه لا تعارض بين السلفية والمذاهب الفقهية الأربعة وغيرها في مفهوم هذه الكلمة.

وطالما أن السلفية هي في حقيقتها مرحلة زمنية لا مذهب فقهي فإن من جملة خصائص هذه الفترة العظيمة و هذه المرحلة الكريمة إلا أنها كانت حافلة بالحق والعمل به والبعد عن الخرافات والبعد عن الشطح.

♦ Dr., Marmara Üniversitesi, alber.mkr@gmail.com

وما ظهرت الخرافات والبدع إلا بعد زمن السلف ولا يزال يتطاول إلى أن وصل الأمر إلى زماننا كان من الطبيعي أن يكون هناك طبقات مختلفة من طبقات المجتمع قد تربت على الخرافة والخطأ وما إلى ذلك وخصوصا عندما يكون في زماننا هذا دستور كثير من الدول والممالك دستورا وضعيا لا علاقة له بالإسلام.

أقول: لأجل ذلك كله كان لابد أن يكون هناك ردود أفعال شرطية منعكسة عن هذه الأخطاء والخرافات. فلهذا السبب ظهر في مطلع القرن العشرين وأواخر التاسع عشر الميلادي أناس بدأوا ينادون بالرجوع إلى منهج السلف.[1]

وقد كانو محقين بهذه الدعوة لأنها دعوة من أجل الرجوع إلى الجذور وما أعظم أن يرجع الإنسان إلى أصل دينه وإلى أصل عقيدته فظهر في بلاد الحجاز محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب الوهابي في بلا الحجاز وكان من وراء دعوته عدة أسباب على رأسها أن عددا كبيرا من الناس كانوا يكادوا أن يعبدوا أهل القبور. فقد كانوا يتمسحون بها وربما سجدوا لها مما لا يرضى به دين سماوي.

إلا أن هذه الدعوة إلى السلف لم تصن بصيانة مناسبة فإنها كانت تحمل في طياتها آراء سلبية كنبذ التقليد والدعوة إلى الإجتهاد و نقد المقلدين نقدا مطلقا دون قيد ولا شرط و هكذا.

فإذا بأتباع محمد بن عبد الوهاب يتطاولون على أصحاب المذاهب الأربعة مثلا وإذا بطلابهم ينصبون من أنفسهم مجتهدين و يأخذون مباشرة من الكتاب والسنة مع أن شروط الإجتهاد لم تجمع بهم.

ولما كثر انتقاد أهل العلم لهؤلاء صرحوا للناس أنهم يتخذوا المذهب الحنبلي دستورا لهم وأنهم يفتون به ومن نظر بعد ذلك إلى واقع فتواهم فإنه سيجد أنهم لم يلتزموا حتى بمذهب الإمام أحمد بن حنبل .

قلت: ولما كانت بلاد الحجاز مهد السلفية الذي كان الملك يرعاه أو من وراءه قوة الملك توزع هذا المنهج في جميع أنحاء الدنيا وكان الملك ولأموال بخدمة هؤلاء وخدمة منهجهم فأنت ترعى جميع هؤلاء على هذا المنهج الخطأ بوجه عام لا بوجه خاص.

وكما أن الإفراط دائما لايمكن أن يكون منهجا سويا كالتفريط فإنه ظهر في بلاد الحجاز وفي غيرها من البلاد في أخرة من الأمر من نبذ التدين بوجه عام لأن دعاة التدين من السلفية لم يكونوا

---

1 السلفية، البوطي : محمد سعيد رمضان، دار الفكر في دمشق، ص ٨ وما بعده .

بدعوتهم متزنين أو متوازنين فأدى إفراط هؤلاء إلا تفريط من قبل جيل كامل أو طبقة من طبقات المجتمع مما دعا عدادا من العقلاء إلى أن يقفوا موقف الوسط فكانوا سلفيين ولكن دون إفراط ولا تفريط لديهم نزعة سلفية ولكن دون تكفير خصومهم تكفيرا عشوائيا ولديهم نبذ التقليد ولكن دون قلة الأدب مع الأئمة كالعلامة شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ممن لهم أثر كبير في العالم الإسلامي و هو أثر إصلاحي لا ينكر.

الباب الأول وفيه مايلي:

الفصل الأول

الإسلام في شبه القارة الهندية عموما:

وصل الإسلام إلى الهند على يد محمد بن القاسم أثناء الفتوحات المعروفة في التاريخ الإسلامي بفتوحات السند أيام عهد الدولة الأموية. وعلى مدى قرون عدة طويلة ظل المسلمون في شبه القارة الهندية أمة واحدة ومع نهاية الإحتلال البريطاني الذي استمر حوالي مائتي سنة انقسمت الهند عام ١٩٤٧ إلى دولتين هما الهند وباكستان التي كانت تضم آنذاك بنغلادش و نتيجة لذلك التقسيم ظهرت على مسرح الأحداث السياسية مشكلة إقليم جامو و كشمير المتنازع عليه بين الهند وباكستان.

و نسبة المسلمين في ذلك الوقت في الهند ١٤% من مجموع السكان يشتغل ٧٠% منهم بالزراعة غير أن تمثيلهم في مؤسسات الدولة لا يتعدى ١%.

ومجتمع الهند مجتمع متعدد اللغات والأعراق وتبلغ مساحة أراضيها ٣،١٦٦،٤١٤ كم مربع ثلاثة ملايين وألف وست وثلاثون وأربعمائة وأربعة عشر . و يعيش فيه ١،١٤٠٠٣٨١٠ مليار وأربعة عشر مليونا وثلاثة آلاف و ثمانمائة وعشرة أشخاص يمثلون سدس سكان العالم و هي بذلك تعد ثاني أكثر دولة في العالم من حيث عدد السكان بعد الصين.

و يُنقسم المسلمون في الهند إلى قسمين هما: مسلمو الشمال ويتبعون المذهب الحنفي و يتكلمون اللغة الأوردية و البنغالية، ومسلمو الجنوب و يتبعون المذهب الشافعي و يتحدثون اللغة التاملية إضافة إلى وجود مسلمين شيعة في بعض الولايات وبالأخص حيدر أباد الركن.

والهيئات التي تهتم بشؤون هذه الأقلية الجمعيات التالية:

1. مجلس المشاور.
2. الجماعة الإسلامية.

3. جمعية علماء الهند.
4. الجمعية الإسلامية التعليمية لعموم الهند.

ويوجد لدى هذه الأقلية جامعات لتدريس العلوم الإسلمية وأخرى للعلوم المدنية ومن أهمها:

- جامعة ديوبند
- ندوة العلماء في لكهنو
- مظاهر العلوم
- مدرسة الإصلاح
- الكلية الإسلامية في فانيا أبادي
- الجامعة العثمانية في حيدر أباد
- الجامعة الملية في دلهي.

أما الهوية الثقافية التي تشعر تلك الأقليات المسلمة فهي مهددة بالذوبان في المجتمع الهندوكي.

و يقول المسلمون الهنود: إن الحكومة تحاول تكريس هذا الطابع في المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية لذلك قد بذلوا جهوداً كبيرة وخاصة في بناء المؤسسات التعليمية من أجل الحفاظ على هويتهم الإسلامية.

إلا أن ثمار هذه الجهود لا تصل إلى مستوى الطموح المطلوب لأساب عدة منها :

1. قلة الإمكانات في المؤسسات التعلمية
2. ضعف التنظيم والتنسيق
3. انخفاض متوسط دخل الفرد لمعظم افراد الأقلية.

الفصل الثاني:

السلفية في شبه القارة الهندية عموما:

وبناء على ما سبق من توصيف حال المسلمين في الهند، وبناء على ضعف حالهم وقلة حيلتهم فإنهم اضطروا إلى التوحد قدر المستطاع كما أنهم اضطروا إلى الحفاظ على عقيدتهم خوفا من التأثير الهندوكي والهندوسي.

وقد فسر هذا التوحد والحفاظ على العقيدة بالرجوع إلى الأصول والجذور رجوعا قويا فالمسألة مسألة وجود أو لا وجود فكان من جراء ذلك التمسك بالنصوص من كتاب و سنة وما إلى ذلك. ولكن في الهند الأمر يختلف عن بلاد الحجاز فالسبب الداعي في بلاد الحجاز إلى التمسلف هو نبذ الخرافات والشطح والأخطاء الصوفية.

أما السبب الداعي إلى التمسلف في ذلك الوقت في الهند فإنه يكمن في مسألة الحفاظ على الهوية الإسلامية واستقلال المسلمين و وحدتهم قبل أي اعتبار.[2]

وبإعتبار الضعف الذي كان يحيط بالمسلمين في ذلك الوقت في الهند وشبه القارة فإن حظ كثير من المسلمين كان واضحا من الجهل والفقر.

و يقول العلماء عندما يجتمع هذا الثالوث من فقر ومرض وجهل فإنه يخرج الإنسان عن عقله و يصبح عقل هذا الإنسان جاهزا لقبول الخرافة.

هذا بالإضافة إلى ما كان ينتشر في الهند من السحر الهندوكي و الهندوسي الذي فتن عددا كبيرا من المسلمين.

فمن الطبيعي أن يبحث المسلمون في شبه القارة عما يدفعون به السحر فكان من بعضهم أن لجأوا إلى الخرافة والشطح وما إلى ذلك.

و هنا يتجلى لنا بعد ذلك اللجوء عند علماء شبه القارة إلى منهج السلف للحفاظ على فكر المسلمين و وحدتهم الإجتماعية واستقلالهم قدر الإمكان عن الهندوك والهندوس وما إلى ذلك .

على أن منهج السلف في الهند في ذلك الوقت كان منها مبنيا على علم و فكر. فالهند كانت غنية بالعلماء والمفكرين لأنها بلد حضارة وخصوصا عندما احتلت من قبل الإنكليز فإن هذا الإحتلال المقيت قد جعل علماءها يبرزون في عدة مجالات إسلامية ليقاوموا هذا العدوان لذلك لم تكن السلفية في ذلك الوقت مقيتة بل جلها معتدلا متوازنا.

ولما أراد الإحتلال الخبيث أن يفترس الهند وأن يسلب خيراتها التي لا تنتهي وأن يضرب الإسلام في شبه القارة اضطهد المسلمين فيها اضطهادا شديدا بوجه أنهم أصبحوا يبحثون عن الخلاص فكانت فكرة استقلال الباكستان عن الهند فاجتمع كل المسلمين في الباكستان وخلت الهند عن المسلمين كوجود رسمي في الهند آنذاك الوقت.

---

2 انتهى عن كتاب المسلمون في الهند بتصرف للإمام الشيخ أبو الحسن الندوي ص : ٦

الباب الثاني وفيه فصلان :

الفصل الأول : أثر علماء الهند في وجود الفكر السلفي في باكستان ماضيا

بعد ما مضى من الكلام عن وجود المسلمين في شبه القارة قبل الاستقلال فإنه يترتب علينا أن نفهم أن الثقل العلمي والحقيقي قد كان من نصيب الهند فالهند مؤثر في باكستان والباكستان متأثر بالهند على وجه العموم لا الخصوص وذلك لأن الهند بلد كبير جدا بالنسبة لباكستان ولأن ثرواته أكثر وما إلى ذلك وبالتالي فإن السلفية في باكستان هي إمتداد للسلفية في الهند و يمكن لنا أن نقول قد أسس هذه الجماعة السيد نظير حسين الدهلوي وهو من تلاميذ محمد إسحاق الدهلوي و هو من أحفاد شاه ولي الله الدهلوي وقد درس السيد نظير حسين كتب الحديث كلها وقد تخرج به محدثون مشاهير مثل شمس الحق عظيم أبادي صاحب عون المعبود وعبد الرحمن المباركفوري صاحب تحفة الأحوذي.

وفي تلك الفترة إتهم المخالفون لهذه الجماعة بأنهم وهابيون ولكن هذه الجماعة رفضت هذا الإتهام وسموا أنفسهم أهل الحديث وفي الحقيقة يقابل هذا المفهوم من جهة العرف (السلفية) كما هو مشهور في العالم الإسلامي وقد سجل هؤلاء اسمهم عن الحكومة الإنكليزية في الهند (باسم أهل الحديث .

ولهذه الجماعة أو الحركة أفكار أساسية كما يلي تتركز في ثلث نقاط أساسية:

الأولى: أنهم يهتمون بمبدأ التوحيد خاصة.

الثانية: أنهم يرفضون تقليد المذاهب الفقهية الأربعة خالصة و يدافعون عن الإجتهاد بالكتاب والسنة مباشرة.

الثالثة: أنهم يردون العادات والتقاليد غير الإسلامية في المجتمع مثل زيارة القبور وما إلى ذلك.

وفي مواجهة هذه الأفكار فإنهم يدرسون الكتب الحديثية من بدايتها إلى يومنا هذا، وإضافة إلى هذه الدراسات فإنهم كتبوا في شروح الحديث بالعربية وفي علوم الحديث وقد كان ذلك بالعربية والأوردية.

وهكذا أسهم علماء هذه الجماعة في علم الحديث إلى اليوم.

على أن هناك فرقا بين أهل الحديث والديوبنديين بل فروق نستطيع أن نلخصها بما يلي :

1. الديوبنديون يصلون التراويح عشرين ركعة خلافا لأهل الحديث.

2. يرفع أهل الحديث اليدين في الصلاة خلافا للديوبديوذ.

3. يرد أهل الحديث التوسل والوسيلة والإستغاثة و يعدونها شركا بوجه مطلق خلافا للديوبنديين فإنهم يقبلونها بشروط.

الفصل الثاني :

الفكر السلفي منذ ثلاثين سنة إلى الآن في باكستان وأشكاله :

هذا وإن كانت السلفية في الأصل في الباكستان امتدادا لسلفية الهند إلا أنها ليست متطبقة معها بالتمام والكمال وذلك لأسباب أبرزه :

1. قرب الباكستان من الخليج العربي جغرافيا من جهة كراتشي على البحر.

2. وجود الشيعة بقوة خلافا لما هو الحال في الهند.

وذلك أن الشيعة في الباكستان أقوياء و يأخذون دعمهم المباشر من إيران إذ أن إيران بلد متاخم لبلوجستان الباكستانية من جهة غرب باكستان وقد أثر الشيعة إلى حد ما على السلفية في باكستان وألحقوا بهم الضرر والأذى فقد قتل الشيعة عام ١٩٩٧ رئيس الجامعة البنورية (حبيب الله مختار) و هو سلفي معتدل في كراتشي.[3]

و هو صاحب كتاب "*كشف النقاب فيما قال عنه الترمذي أصح ما في الباب*" و هكذا كما أن قرب الخليج من كراتشي الباكستانية كان له أثر بإرسال الطلاب الباكستانيين إلى الحجاز ودراستم هناك بوجه أنهم تلقفوا أفكارهم وأصبحوا فيما بعد دعاة لهم تربطهم الأموال والمصالح وقل فيهم المعتدلون أصحاب الرسالة ومن هناك يلاحظ الفرق بين سلفية باكستان والهند أيضا.

ومما يدر ذكره في هذا المقام أن سلفية العرب وخصوصا الحجاز كانوا يتبنون فكرة الجهاد الأفغاني وقد أدخلوا هذا الفكر إلى الطلاب الباكستانيين فرجع عدد كبير من طلاب الباكستان إلى الجهاد في الأفغان فقد نشأت حركة طالبان في الأفغان التي قامت بالحروب ضد روسيا وأمريكا كما أن عددا من الدول العربية دعمتها بادئ ذي بدء.

---

3 لخصت هذا الفصل بتصرف من رسالة الماجستير للأستاذ الدكتور محمد أوزلشل والتي لم تطبع و هي بعنوان إتـــجاهات أهل الـــحديث في باكستان ، ص : ٥ ٦

فالشيخ أسامة بن لادن أثره واضح في دعم السلفية في باكستان وصلته واضحة بهم وكذلك الدكتور عبد الله عزام الذي كان أستاذا في الجامعة الإسلامية في إسلام أباد في باكستان فإن له أثرا كبيرا في توجيه الفكر السلفي وجهة معينة وأخذه نحو التطرف.

والدكتور عزام هو فلسطيني عربي. فقد أثر هذا الرجل في عدد من الطلاب في الجامعة وعدد من الأساتذة هذا مما يلاحظ أن السلفية في باكستان حصرا قد اتسعت في وقتنا الحاضر اتساعا كبيرا وتشعبت ولكننا نذكر منها أشهر الجامعات والمدارس:

1. الجامعة البنورية في كراتشي[4] وقد أسسها العلامة المحدث الشيخ يوسف البنوري رحمه الله تعالى و هي تمثل تيارا معتدلا و هؤلاء أحناف في الأصل .

2. الجامعة الأشرفية في لاهور[5] من إقليم البنجاب نسبة إلى الإمام الجليل أشرف علي التهانوي والتي أسسها الشيخ محمد عبدالله غازي ولد الدكتور أحمد غازي الذي كان رئيس الجامعة الإسلامية في إسلام أباد .

3. مركز المدارس السلفية في فيصل أباد و هم معتدلون أيضا .

4. أكادمية شاه ولي الله الدهلولي التي أسسها علامة السند البرفسور علام مصطفى القاسمي و هي في حيدر أباد السند، باكستان .

5. مدارس طالبان و هم يمثلون الآن الفكر السلفي .

التكفيري المتطرف كمان أن جماعة الدعوة والتبليغ يحملون في طياتهم فكرا سلفيا إلى حد ما و نزعة اعتزالية بعض الشيء لأن المودودي كان بهذا الفكر إلا أنهم لا يصرحون بسلفيتهم من باب السياسة والتكتيك هذا وقد كان رئيس الباكستان الأسبق ضياء الحق رحمه الله تعالى داعما للجهاد في أفغان وقد كان أكثر السلفيين في الحدود الباكستانية المتاخمة للأفغان سلفيين مجاهدين فكان موقفه منهم إيجابيا مع أنه لم يكن سلفيا ولكن جمعه الجهاد مع هؤلاء، فهو الذي دعم المدرسين و هو الذي افتتح الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد، كما أنه قد أتى لأجلها بعلماء العرب كالعلامة الدكتور حسن الشافعي والعلامة الدكتور حسين حامد حسان إذ كل منهما كان رئيسا لهذه الجامعة وكل منهما سلفي.

---

4 هذه الجامعة هي بالأصل ليست سلفية ولكنها في نظري كثير م الفئات في باكستان سلفية لعنايتهم في الرواية والحديث لذلك عدت من السلفية .

5 ما يصدق على الجامعة البنورية يصدق على الامعة الأشرفية .

فنظم ضياء الحق هذه المدارس واعترف بها وأصبح الذي يخرج منها يستطيع أن يكمل في جامعات الدولة الرسمية وأصبح لحامل هذه الشهادات وظيفة في الدولة وما إلى ذلك.

وفي زمن برويز مشرف انقلب الأمر فقد كان رجلا تابعا لأمريكا والإمبريالية العالمية فضرب بالمدارس السلفية عرض الحائط وألغى الإعتراف بها وأصبح السلفية منذ ذلك الوقت إلى الآن ملاحقين ومراقبين من قبل الحكومة والله أعلم.[6]

[5] هذا الفصل هو من مذكرات المؤلف الخاصة له أثناء دراسته في باكستان و هي مذكرات مخطوط .